Vol 08 / Issue 32 / june 2024
ISSN 2568-6739 p305-333

Journal of social sciences
Democratic Arabic Center For Strategic, Political & Economic Studies, Germany-Berlin

The role of Moroccan values in managing children's and youth issues

KHALIL BIYA *
Composition Unit: Social Dynamics Field, Power and Society Faculty of Arts and Humanities University Abdelmalek Saadi Tetouan Morocco

kh.biya2018@gmail.com

https://orcid.org/0009-0005-5988-1695

Received: 22/07/2023, **Accepted**: 20/05/2024, **Published:** 10/06/2024

Abstract: This paper aims to provide a sociological understanding of Moroccan values, as the substance of the spirit of our societal development, which development needs in building an alternative societal project. It is also a cognitive attempt to understand the elements on which a Moroccan societal project is built. Before establishing these discussions with the general hypothesis, there must be a kind of methodological limitation of knowledge with which we interpret our scientific knowledge. Therefore, the structural approach is a systematic approach to reveal the impact and impact of Moroccan values as a creative material for working on childhood and youth, and new approaches to generating development rooted in the social reality of Moroccans. According to what is revealed from the truth of the research in this scientific paper, a scientific bibliography is gathered from within our Moroccan spirit, which requires a kind of sociological and anthropological interpretation, to establish the relationships of the permanent cognitive project with soil and values as societal elements that carry the meaning that our Moroccan development lacks

Keywords: Moroccan values, childhood, youth, empowerment, solidarity

**Corresponding author*

المجلد:08/العدد 32/جوان 2024
ISSN 2568-6739 ص305-333
مجلة العلوم الإجتماعية
المركز الديمقراطي العربي ألمانيا-برلين

دور القيم المغربية في تدبير قضايا الطفولة والشباب نحو مقاربة معرفية للنسق الذهني في تشكيل المشروع مجتمعي

خليل بية *

وحدة التكوين: الديناميات الاجتماعية المجال والسلطة والمجتمع كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة عبد المالك السعدي تطوان- المغرب

kh.biya2018@gmail.com

https://orcid.org/0009-0005-5988-1695

تاريخ الاستلام: 2023/07/**22** - تاريخ القبول: 20/**05**/**2024** - تاريخ النشر: 2024/06/10

ملخص: تهدف هذه الورقة إلى تقديم فهم سوسيولوجي للقيم المغربية، بوصفها مادة روح تطورنا المجتمعي الذي تحتاجه التنمية في بناء مشروع مجتمعي بديل؛ وبما هي أيضا، محاولة معرفية في فهم العناصر التي يبنى عليها مشروع مجتمعي مغربي. وقبل التأسيس لهذه النقاشات مع الفرضية العامة، لا بد بنوع من التقعيد المنهجي للمعرفة التي نفسر بها معرفتنا العلمية، لذلك يكون المنهج البنيوي تمش منهجي لتكشف أثر وتأثير القيم المغربية باعتبارها مادة إبداعية للاشتغال على الطفولة والشباب، ومداخل جديدة لتوليد التنمية المتجذرة في الواقع الاجتماعي للمغاربة. وحسب ما يتكشف من حقيقة البحث في هذه الورقة العلمية، تتجمع من داخل روحنا المغربية بيبلوغرافيا علمية، تحتاج إلى نوع من التأويل السوسيوأنثروبولوجي، لإقامة علاقات المشروع المعرفي الدائم مع التراب والقيم كعناصر مجتمعية تحمل المعنى الذي تفتقده تنميتنا المغربية

الكلمات المفتاحية: القيم المغربية، الطفولة، الشباب، التمكين، التضامن

*المؤلف المرسل

مقدمة:

في المجالات القيمية المغربية، لا بد وأن يثير الباحث تساؤلا عميقا وبسيطا في نفس الآن، لماذا في العديد من المناطق المؤهلة تأهيلا طبيعيا وحضاريا متميزا غالبا ما تكون مؤشرات تنمية عنصره البشري لا تشي بالتمكين المطلوب تحقيقه لفائدة هذا العنصر؟

لذلك، تكون المقاربة السوسيولوجية للدوائر الهامشية، بحاجة إلى روابط فرضية تشكل الهيكل الاستدلالي لسوسيولوجيا القيم المغربية المأمولة. وهو ما يمكن تحقق خطاطته المعرفية في هذه الورقة البحثية في نقطتين أساسيتين، أولها: يرتبط بفرضية ميثودولوجية، تشرط معرفيا فهم طبيعة حضور الثقافة المغربية في التاريخ الاجتماعي والثقافي، المولد لصيرورة العيش المشترك الممتد في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغربي الراهن، ومدى قدرته على التجدد الحضاري. ذلك، أن التقليد هو جذر الذاكرة المستقبلية لبناء سيرورة الذات المغربية. وثانيهما: فرضية معرفية، تتأطر بمنطق العلوم الإنسانية وتأثيرها في علم الاجتماع؛ وهي فرضية تهدف الورقة من خلالها إلى استقراء شروط الأنا المغربي كنسق ذهني وثقافي قادر على التجديد والإبداع.

إن المقياس العام في عملية التنمية والتقدم هو أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها، وإن الذي يكرس منتجات الحضارة لا يصنع حضارة ولا يمكن أن يصنعها، فإنه من السّخف أن ننشئ حضارة بشراء منتجات حضارات أخرى، فصناعة الحضارة إمكان ذاتي ينطلق من الذات. فهي عبارة عن "مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي حيث ينشأ ويتقوى هيكلها، وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها (جدعان فهمي، 1988، ص418). فهي تقوم على تجربة

مخططة منبثقة من الواقع الاجتماعي وخاضعة لمناهج علمية مستفادة من الدراسات والتجارب التي أجريت على هذا الواقع الإنساني.

المشكلة البحثية

في تبسيط الواقع، يمكن لإيجاد نموذج أن يخلق إحساسًا بالواقع، والسعي نحو التغلب على التفكير المنهجي وديناميكيات النظام. والتجسير بين المقترب السوسيولوجي والعلوم المعرفية يمكن أن يقدم المساعدة في بناء تنسيق أفضل بواقع النماذج الذهنية ومحاكاته بدقة، ما يزيد من احتمالية اتخاذ القرار والتصرف وفقًا لكيفية التخطيط. لذلك، فاختيار النماذج الذهنية المصغرة في المخيال هو تفسير لعملية التفكير شخص ما حول كيفية عمل شيء ما في العالم الواقعي. وهي بمثابة تمثيل للعالم المحيط والعلاقة بين أجزائه المتنوعة والإدراك الحدسي لشخص ما حول أفعاله ونتائج تلك الأفعال. إذ يمكن للنماذج الذهنية أن تساعد في تشكيل السلوك ووضع منهج لحل المشاكل والقيام بالمهام، مادامت صورة العالم حولنا التي نحملها في عقولنا، هي مجرد نموذج. لا أحد يخيل كامل العالم أو البلاد أو الحكومة في دماغه. بل هو اختار فقط مفاهيم، وعلاقات بينها، واستخدمها ليمثل النظام الحقيقي.

إن الخيال ما هو إلا تلك القوة التي اعتبرها ألبرت أينشتاين (1879 – 1955) كل شيء وتفوق المعرفة أهمية، قوة الخيال التي دونها لما كان هناك أيّ اختراع أو فن في العالم، قوة الخيال التي يستخدمها كل المبدعين والعلماء والناجحين والرياضيين، غير أنه يتخذ في هذه الدراسة البنية الكلية التي في الاشتغال على مكوناتها المصغرة يمكن أن تولد صيرورة من الإبداع لدى الأطفال والشباب.

والإمساك بشروط النسق الذهني المبدع والقابل للاستدامة بدل التربية على فكرة الأزموية القيمية، من جهة، وتقريب العقل المعرفي في تفسير الواقع الاجتماعي من جهة أخرى، هي حدود معرفية لمشكلتنا العلمية؛ ولتحديد هذه الشروط نقترح مقاربة معرفية اجتماعية كإطار عام للدراسة، وأيضا بماهي تجسير هوياتي للعلاقة بين علم الاجتماع والعلوم المعرفية تمكن من إتاحة هوية منهجية ونظرية متجددة للعلم الاجتماعي في تفسير الواقع الاجتماعي؛ وذلك عبر ركيزتين معرفيتين: أولها، المفهوم المتجذر من مفردات تستمر في قاعدة الوعي العربي وتجدد حضورها في فترات بؤس الإدراك للعالم الجديد، وهو ما تستطيع تجاوزه الذات الباحثة عندما تقترن الدراسة بين الملكة الذهنية والملكة الحضارية في تفسير أبعاد العمران البشري. وثانيها، تجذير الخبرة الحياتية المحلية باعتبارها النقط الخفية والقابضة لشروط التوازي في الذهن في فترات النكوص، وهو ما يتأتى عبر مكون الإبداع المتجدد في جذر الذاكرة المستقبلية. وبناء عليه تتمحور المشكلة البحثية التي يهدف البحث الإجابة عنها حول السؤال الرئيس الآتي: **كيف تعمل النماذج الذهنية المصغرة في المتخيل الاجتماعي على تدبير نموذج تربوي مبدع للطفولة والشباب؟**

لذلك، فهذا البحث يسعى للإجابة عن الأسئلة التالية:

1.ما هي آليات اشتغال المتخيل الاجتماعي المغربي في تدبير قضايا الطفولة والشباب؟

2.ما هي التجربة الفنومينولوجية التي ينطبق عليها فعل التخيل المغربي لدى الطفولة والشباب؟

3.كيف تم الانتقال مع فنومينولوجيا المتخيل من الاعتناء بالمفاهيم إلى معالجة الصور والرموز والحقول والأشكال والعلامات؟

أهمية وأهداف الدراسة:

تتأتى ضرورة دراسة هذه المشكلة من كونها تقدم نتائج عملية وعلمية في تفسير أهمية النماذج الذهنية التي يشتغل عليها المتخيل الاجتماعي المغربي في تدبير قضايا الطفولة والشباب، وخصوصا بعد التشبيك القيمي الذي تؤسسه الحداثة المعاصرة، مما يجعل المطلب العلمي ضروريا في تشخيص آثر هذا التشكيل الحداثي في المجتمعات البشرية، وأيضا بوصفه ترابطا نموذجيا للقيم المكتسبة في بنية الوعي الجماعية داخل المتخيل الاجتماعي، وقدرة هذا المتخيل على الامتداد في التقييس الذهني وتشكيل المفاهيم التي على الذات أن تحددها في زمن التيه لتعدد الهويات المصطنعة.

وتفتح هذه الدراسة حدودها المعرفية على أهمية مقترب المعرفية الاجتماعية في تفسير العلبة السوداء (الذهن)، بوصفه حاملا لنسق تجديد قضايا الطفولة والشباب؛ أي من جهة كون هذا التجديد يمنح خطاطات في تربية المجتمعات القادمة، ويؤشر على انفتاحات علمية جديدة ما بين علم الاجتماع والعلوم المعرفية مفيدة في تفسير الواقع المجتمعي، من جهة ثانية. الشيء الذي يجعل من هذه الدراسة بنتائجها العلمية والعملية، قادرة على منح الفاعل السياسي تصورا لكيفية الاستثمار في الذاكرة المحلية، وبوصفها حاملة للمفاهيم التي يشتغل عليها القرار الفردي وأنماط السلوك لدى الفرد، وأي تضييع أو إهمال لصورة الفرد في الواقع يمكن أن يشوه صورة النموذج التنموي الذي يريده المغربي، ولا أكثر أهمية من الاستثمار والاشتغال في الطفولة والشباب باعتبارهما قدرة التقدم القادم للمغاربة.

من هذه الهندسة العلمية، تجعل هذه الورقة النماذج المصغرة في بنية المتخيل وقدرته على تشكيل قيم الذات لدى الطفولة والشباب هدفا لتتبعها المعرفي، بناء على تواصل معرفي بين علم الاجتماع والعلوم المعرفية، مما يجعل مشروع معرفي دائم للتواصل بين الحدود الابستيمية للعلوم

الاجتماعية وتجديد موضوعها العلمي؛ لذلك تجعل هذه الدراسة من أطرها النظرية المعرفية مرتبطة بالمجتمع المدروس (المغربي) من أجل التكشف العلمي لحقيقة قدرة النموذج المغربي على تقديم أجوبة علمية حول مسألة أزمة القيم لدى الطفولة والشباب، وقدرة هذا النموذج على التعميم.

وبهذا تكون هذه الدراسة تضع التحليل العلمي على مشكلة – على حسب علم الباحث – ينذر تناولها في الدراسات العربية، وإن كانت فإنها ترتبط بالنزعة التخصصية للحقول العلمية علم الاجتماع التربوي، علم النفس المعرفي، ولم يتم تناولها بمنظور العلوم المعرفية، ومرجع ذلك، أن تناول العلوم المعرفية في العالم العربي لا يزال جنينيا، ولم ترتق الدراسات في العلوم المعرفية إلى مصاف التعميم في الجامعات والمؤسسات العربية.

أولا: القيم المغربية كأساس للتميز الحضاري

يمتلك الإنسان بنية ذهنية تعكس في مجال ذهنه مجموع من الأنساق المعرفية، يعبر فيها كل نسق معرفي عن الصور الذهنية لحل شفرات عناوين ثقافات أخرى انطلاقا من معرفته المتجسدة. فالثقافة إرث إنساني مشترك، وشكل من الأشكال المعرفية التي تظل حاضرة في أذهاننا وذواتنا من خلال مركزيتها المعرفية في الذاكرة البشرية.

وهذه الصور الذهنية التي يمتلكها الإنسان لها أساس أحيائي/ ذهني كامن في الجهاز التصوري للكائن البشري، وبالتالي فالتماثل الذهني آليات معرفية وشبه هندسية يمتلكها الإنسان تجعله يدرك هذه النماذج الثقافية بكيفية واضحة، وتوفر له صورة للتمثيل البصري لترميز

خصائص هذه النماذج الثقافية وهندستها، الشيء الذي يمكن الإنسان من تعيينها وصورنتها في قوالب معرفية قابلة للملاحظة والتأويل المعرفي.

وتحدث هذه الانشطارات، بنماذج مصغرة للفكرة، تتماثل ذهنيا فيما يمنح روح التنمية القيمية وحدة تماسك دون أن يسبق تفاهما بين الكائنات على زمن الالتقاء. وما ذلك، إلا لأن الإدراك يحدث بين الذوات، دون أن تنتبه لفعل حصوله أو أن يكون هناك وجود لتموضع ثقافي مسبق حوله. نظرا لكونه ينشأ في متخيلنا البعيد ويستدعى من باحة الرموز (محمد يونس، 2009، ص 44).

فما يحدث عندما تتشابه منطوقاتنا البشرية، أو حينما تتخاطر أفكارنا من روح لا تحقق أي تنمية دون أن تكون هذه الروح قاعدتها ومنشأها الذي تستمد منه أصولها المعرفية، لذلك فالتراب هو استيعاب هذه الروح الثقافية الذي ينشأ من رحمه عقلنا المغربي، وتولد من بواثقه إبداعاتنا المغربية. إن هذه الروح المتناثرة في تفاصيل التاريخ، وبالديالكتيك الذي تفهم تطوراتها من خلاله، يمكن أن يمنح للقراءة العلمية للذات المغربية نظرية الأوتار الاجتماعية الفائق لحدوث هذه الروح، نظرا لكون الجيورمزية تحول الذهن إلى زمكان، يسمح تكافؤ قوته في إيجاد التوازن لفضاء عمومي منظم.

تضمن المعادلة النسقية للذهن المغربي، وجود بنية موائمة لنموذج وتر القوة المصغرة في تدبير قيمة القيم المغربية، وفق اقتصاد لتدبير هذه المنظومة واستثمارها في واقع اجتماعي كثيف ولا متناه: التنظيم والتركيب والمجموع والقوة الكبرى لامتداد تفكيرنا البشري وربط العلاقات التفاعلية بين البنيات والعناصر والأجزاء. ومن ثم، فالنسق عبارة عن نظام بنيوي عضوي كلي وجامع، (Thomas Kuhn, 1970, p 214) وعبر الحدود التي تفصل بين العنصر الذي

ينتمي إلى النسق الداخلي أو الذي ينتمي إلى محيطه الخارجي؛ مع تبيان آليات التفاعل التي تتحكم في النسق في ارتباطه الوثيق بمحيطه السياقي المجتمعي والثقافي المرتبط بانشطار المتخيل.

يتشكل برهان الاستدلال المعرفي في هذا السرد، بإشكالية معرفية، لقدرة نموذج "الذهن" أن يشمل ترابطا علميا، بين علم الاجتماع والعلوم المعرفية في إعادة سرديات الإنتاج القبلي. وطبعا، أن تقوم ميثودولوجية المعرفة على مجتمع العقل The Society of Mind (Minsky Marvin,1988) بعلوم الوجدان، وعلوم المعرفة، وعلوم الطبيعة، ونظرا لما تتطلب من نماذج حسابية فإن التمثيل الرسميً يكون رياضيًا ومنطقيًا لمشكلة ما.

يصنع الكوجيطو الذهن المغربي وفق مقولات أنطولوجية قيمية، تعبر عن الثقافة المادية واللامادية كما هي موجودة في العالم الخارجي؛ أي التعبير عن الأشياء الوجودية كما يتصورها الإنسان، من خلال تجاربه ومعارفه القبلية عن الثقافة (الخامس مفيد، 2019، ص 15). وكذا من خلال تجهيزه الوراثي. نظام ثقافي يسمح لروح التمغربيت بإنتاج معان منقولة في مجتمع العقل، وتجعل من وجوده وعيشه ليس فقط نمط من التعايش القسري، نتيجة تحولا طارئة، وإنما هو نظام مبنين في قواعد الذهن والعيش، مما يجعل ضمان الاستمرارية وهدم الجمود في فعاليته قاعدة ذات صيرورة حقيقة في المجتمع المغربي.

فلقد أوجد هذا الوجود كوجيطو مغربي لقيم قادرة على إعطاء معنى للتنمية الحضارية التي يريدها المغاربة، وهو ما تسمح الخبرة الميدانية بالتقاط إشارة معرفية مركبة، تستند في بنائها إلى حقيقة العلوم المعرفية بتسجيل وجود كوجيطو للتنمية المحلية المغربية، من خلال ما أسماه محمد جسوس "بحضارة القبيلة في المغرب".

ولتدليل على هذه العلمية، يمكن القول إن ما يحدثه المثل الشعبي في الثقافة المغربية هو رابط الانتقال من المعطي الحسي للإدراكات المشاهدة إلى المقولات المعرفية التي تفسر الخبرة الحياتية في تنظيم المعرفة الاجتماعية في تفوق الفروق النوعية الجنسية للجندرية، تمثل المقولات المعرفية في تلك المقولات الذهنية المستمدة من عنصري التجربة والواقع والعالم الفيزيائي (نفسه، ص15). غير أن، هذا الارتباط الحادث في بنية الذهن، لا يحصل إلا من خلال أطر المعرفة الأولية. حيث يقوم، الذهن البشري على مجموعة من الآليات النفسية المتطورة لتحليل المعلومات، الممثلة في النسق العصبي، وهي آليات تشكل جوهر الهندسة الذهنية لدى الإنسان، وتتصف بمحتويات بنيوية غنية ومتخصصة وظيفيا، لإنتاج سلوك تتعامل مع مشاكل تكيفية .

وبالمقابل، تسمح هذه الصلات الذهنية بالارتكاز في بناء كوجيطو الحضارة والتنمية على تساؤلات منطقية لقيام معرفة تأويلية بفهم عالم الفعل والمعنى، من حيث هو سؤال للطبيعة الإنسانية التي نلاحظها في انتقال شبكة الذهن المغربي، في هذه المرحلة التاريخية من خلال دراستنا للسلوك والشخصية لدى الطفل والشاب، وفي دلالة ومغزى كل ملمح من ملامح الذهن في الطفولة والشباب بالنسبة للطبيعة الإنسانية.

ثانيا: التضامن، الجدية، التمكين... نماذج ثلاث لقيم مغربية أصيلة

يستدعي استكشاف مشروع مجتمعي مندمج ومنخرط وعيا بشروط الأنا المغربية ومراحل تشكلها المجتمعي، وهو ما اعتبره الباحث محمد جسوس متحققا في حضارة القبيلة بالمغرب (جسوس محمد، 2014)، بوصفها حاملة لعناصر تكامل جنسي مجتمعي ومتملك لمفاهيم متجذرة في الواقع؛ بإمكانها خلق سلطات مضادة جديدة دون أن تتطور هذه الأخيرة، على حساب مصادر السلطة الأخرى حتى تكون السلطة في مواجهة السلطة، والقوة في مواجهة القوة والكلمة في مواجهة الكلمة (Haddy Mohamed, 2021, p 125) مثل هذا الأفق، يحرر كذلك نفس

الخلق والإبداع الخلاق والبناء للطفولة والشباب، كما أن الانخراط الإرادي سيحفز التفوق والإبداع الذي لا يجب أن يتلخص فقط في البحث عن الثروات الاقتصادية، بل أساسا في البحث عن القيم التي يتعين إعادة قراءتها وإحيائها، وخاصة قيم العمل (Ibid, 115). إذ لم يعد، مفهوم التنمية البشرية منحصرا في البعد الاقتصادي فحسب، ولكنه أصبح شاملا لمختلف الأبعاد والأنساق المجتمعية لذلك، أصبح الهدف الأساسي من التنمية البشرية هو التمكين الفردي والجماعي للقدرات وتحقيق السعادة والرفاه الإنساني، إنها منح الفاعلين فرصة صقل المواهب والقدرات والكفاءات، ناهيك عن، العدل والديموقراطية والإنصاف بين المواطنين بصفتهم ذوات فاعلة، قادرة على تغيير الواقع، وتطوير القدرات.

إن التنمية البشرية، ترمي إلى توسيع خيارات المواطنين والإمكانات المتاحة، وتمكين الأفراد والجماعات وفق سيرورات متجددة ومتطورة في الزمان والمكان، فلا تنمية دون تمكين ولا تمكين دون حرية: حرية التعبير وإبداء الرأي، والتفكير، والإبداع والمشاركة، وبالتالي يصبح مفهوم التنمية أوسع من المؤشرات الرقمية الدالة على الولوج إلى الخدمات العمومية من قبيل: الصحة، والتعليم، والدخل الفردي، والخدمات الاجتماعية. ذلك أن، نموذج النمو الاقتصادي (نموذج المؤشرات والأرقام) يقوم على الناتج الوطني الخام، وليس على تحسين القدرات وتطوير الكفاءات، وتمكين الأفراد ليصبحوا قادرين على حل وضعيات معيشية.

إن هذا التحليل لمعادلة، الثروة الاجتماعية المشتركة في شبكات العلاقات الاجتماعية ومنها شبكة علاقة الأسرة هي مجال يعكس مقياس كمية الملكية للأشياء، بل بمقدار ما فيها من ثروة الأفكار لعلاقات ضرورية. فكلما كانت شبكة العلاقات أوثق كان العمل الفعال مؤثرا، وبالتالي تستطيع هذه العبقرية التشريعية للتاريخ الاجتماعي والثقافي للمجتمع المغربي، أن تكشف في

حركيته عن الإبداع من رحم القبيلة وتاريخها. فالقبيلة بهذا المعنى، هي عبقرية تشريعية أوجدت روح التكامل الإنساني، وتؤشر على عبقرية التشريع التي تحتاجها الهوية الراهنة، والمتكشف بالهوية القيمية المغربية، كهندسة اجتماعية للمجال الطفولي المغربي، وإعادة تحبيك للوعي باعتباره مدخلا للعقل المغربي الموهوب.

فمن رحم الرمزية الجنسية المغربية، يولد معنى لم يقذف في إنتاجات المعرفة الكولونيالية، إما بدوافع أيديولوجية أو عوائق إبستيمولوجية مرتبطة بشروط إنتاج المعرفة في سياقات المجتمعية التي أنتجتها، فالتاريخ الاجتماعي المغربي يشي في شموليته أنه ليس دائما يولد الإبداع من رحم المعاناة، ولكن قد يولد من رحم الهوية البشرية التي أنتجتها الحاجة الطبيعية للجماعات البشرية في تاريخها، وتدفقت في نهر صيرورتها الاجتماعية، كتتال لأنماط مفكرة في إنتاج المشترك بفعل مؤنسن. فهل كانت الهوية المغربية في حاجة إلى واقعة الاستعمار لتصبح تحت نعمة التحديث المقلوب؟

ثالثا: تدبير قضايا الطفولة والشباب والحاجة للقيم المغربية

تصرح الأدبيات السوسيولوجية، أن العرف في ثقافة القبائل ما قبل استعمارية أوجدت للمشترك اليومي، علامات الفعل وحدود الإبدال التي على الوعي التفكير ضمن أطرها ونماذجها الذهنية. وهو الشيء الذي يبصم العقل في مجال الفاعلية البشرية للمغربي، كصانع للتاريخ في مزالق الهوية الخطرة، والراغبة في جعل التفكك لهذه الهوية مدخل لإجراء الإصلاح المستعجل. فنحن كذوات بشرية علينا الحضرنة بغياب القرونة في أذهاننا المغربية، وننسى أن المغربي ولد قروي في طبعه، بمسالك الهوية المنتجة لفعله وذهنه باعتبارها أدوات تأويل الواقع وتلفظ المعنى الذي نعيشه.

إن التجارب الدولية، تثبت أن، المعنى اللائق بمستويات التقدم والإنتاج للمجتمع مكفولة في مكونات هويتها، بوسائل يحدثها التطور المتكافئ لأنساق الكونية، ما دام صوت التقدم هو خط مستقيم، الكل فيه يراكم اللاحق ويزيد عليه، فلا تصلح حقيقة الصيرورة إلا من أنماط الأشكال الأولى للتقدم، لكن بالمعنى الذي تحدث القطيعة والاستمرارية، حيث الكل يتحاور ويتساوق.

إن الحد المثالي لهذا التطور الاجتماعي، بوصفه يتأسس على أركان المادية التاريخية، متوقف على الحالة التي يحقق بها المجتمع، أفضل الظروف النفسية الزمنية لأداء نشاطه المشترك. فهذا الحاصل المادي لتراكم الثروات، يؤدي تطورا بطريقتين: من ناحية الكم، بوساطة معادلة تترجم عن العلاقات التي تحتويها شبكة العلاقات الاجتماعية، ومن ناحية الكيف، بوساطة معادلة تترجم عن المستوى الزمني النفسي (فاعلية شبكة هذا التكامل الجنسي في مستويات أداء التضحية والأمومة والعزوبية والزواج).

وأساس الترجمة الكمية، ممثل في عدد العلاقات التي تربط الفرد بأعضاء الجماعة في لحظة تطور الجماعة، دون أن تحوز انفصالا داخليا، تنشأ عنه ألوان التصدع والصراع الاجتماعي، ومن هذه الخرائط الذهنية، تمثل الاستعمار فاعلية طويلة الأمد، لسبات الوعي التقدمي في التاريخ الاجتماعي.

إن الواقع المهزوم، يجعل حقائق الذات غير قابلة للتصديق من طرف ذواتنا، فننسحب من كوننا ذوات ممكنة إلى مجال الكينونة المتصفة بالنقص، مما يفقد الذات خاصية الثقة الذاتية والنفسية، وتجعلها لا تستوعب ممرات الحصول على الحق، بتعطيل المجال السياسي لقشرة الذهني الراسخة في بنيات الكوجيطو، الذي علينا أن نكتشفه في ذواتنا بصميم التجربة الخاصة في الطفل.

إنها حركة الفرملة التي ننتجها من لدن ذواتنا كإنصات للاعتياد، وهروب من ضريبة الفكر التي على المجتمع أن يؤديها للخروج من ضعفه الذهني، أمام قوة الشرف البركة والولاية والسلطة. على الوعي أن ينجو ويشفى من حدوده التي تسيج فكره وتدخله في عتمة تجريم السؤال والحق في التفكير. تلك الذهنية التي تعتبر العقل جريمة، يحاكمها المجتمع دون محاكمة، فليس للكائن استعمال إلا لبطنه وفرجه في حدود وقواعد الموافقة والمرجعية الاجتماعية لجسده فالملكية الفردية للجسد هي الحقيقة الضائعة في حق الفرد، فعلي الجسد أن يكون مسجلا دائما في ملكية المجتمع.

ويستدعي التحليل لعلاقة الوالدية بنمو الأطفال فحص نظرتنا واتجاهاتنا الراهنة من أجل مستقبل أطفالنا؛ وخصوصا تلك النظرة الاختزالية للطفل كوعاء علينا أن نصوغه بالكامل ونطبع فيه كلنا الموجود في العالم الخارجي، باعتباره لا يفهم ولا يدرك ولا يميز وإبدالها بتصور قادر على تمكين الطفل في إطار عمره ومحيطه الأسري والمجتمعي بوصفه مبدعا.

إذ يبدأ الطفل، رحلته في الحياة بإمكانات رائعة وعقلية خلاقة تواجه العالم الجديد بحب الاستطلاع والكثير من الأسئلة والرغبة في التعلم عن كل ما يدور في عالمهم من خلال اللعب. وغالبا ما تتم إزاحة هذه الحالة العقلية من خلال اتباع أساليب التعليم التقليدية أو اللجوء إلى الرواسب الثقافية المرتبطة بنمط التفكير السائد "العقل المتلقي" (وهبة مراد، 1994، ص 34). إنه عقل يقبع فيه تراث مختبئ في جذوره، يبطل إعماله، وتسري هذه الثقافة وتتغلغل في كل بيئات تنشئة الطفل، تعمل على تشكيل المستقبل على غرار الحاضر الذي هو صورة الماضي (مراد وهبة، 2017، ص 31)؛ بحيث يصير التقليد جذر الذاكرة المستقبلية. فوجه الكون والحياة

يتغير، والحضارة الإنسانية تستعد لتشكيل الوجود الإنساني بشكل أكثر سعادة مما كان عليه من قبل من خلال خلق عالم رائع للعيش فيه.

تناسلت هذه المكونات في الذهن المغربي، بفعل الأثر الذي تحدثه السلطة في طبائع رعيتها لمدد طويلة في عمق بنيتها اللاواعية، فالاستمرارية الذهنية تضمن حق الوجود الاجتماعي في المتخيل الاجتماعي المغربي عبر الثقوب الخلفية للمجتمع، أيضا (النكتة الاجتماعية، الأمثال العامية...)، وما تتضمنه من اختزان للموروث الشفاهي، وخلاصات الروح المصغرة في تاريخ مجتمع معين.

رابعا: مداخل استثمار القيم المغربية في تدبير قضايا الطفولة والشباب

الإبداع صفة إنسانية يحوزها جميع البشر، ولدى الأطفال هي قدرة طبيعية تتحقق من خلال تهيئة البيئة المساعدة (مراد وهبة، 2017، ص 157)؛ وأعني بها نوعا من الاكتشاف للقدرة الذاتية بواسطة بيئة الطفل، وأخص بالذكر أساليب التربية الوالدية وقدرتهما على مساعدة طفلهما على تنمية ذاته وإدراك القدرة الإبداعية.

وحسب ديانا بومريند (Diana Baumrind) الخبيرة في مجال علم نفس النمو، تقوم التربية الإيجابيةpositive parenting لطفولة مبدعة بشكل كبير على علم النفس الإيجابي، وتهدف إلى تمكين الأطفال/الطفلة (Diana Baumrind, 1955. P57) وتتضمن تقديم الدعم اللامتناهي للطفل/ة بحيث يشكلون ثقة عالية بالنفس تخوّلهم النجاح بالحياة. ويتضمن هذا الأسلوب، القدرة الوالدية على إدارة العلاقات، والتي تضمن إقامة علاقة صحية مع الشريك/ة، ومع الآخرين. وتطوير المهارات الحياتية، والتي تضمن قدرتهم على الاستجابة للتحديات الحياتية، والتخطيط **للمستقبل**.

أ- آليات من أجل ربط التنشئة الوالدية بتمكين الأطفال للمستقبل

تنشئة الطفل في سياق تمكين فاعل للمستقبل، يكون مصدره تنمية الأنا المبدع عند الطفل؛ لا بد من أن يتم في ضوء بنية مفاهيمية متكاملة ومترابطة، وان القيم والقدرات المطلوب تنميتها لابد أن تتشكل وفق نسق فكري مبدع يؤسس للذات فاعلة في بيئة إبداعية. وهو ما يحتاج آليتين أساسيتين:

تجديد العقل الوالدي

يتحدد اتساق التحليل بمفهوم الأبائية، وهي اعتقاد الصواب المطلق في اجتهاد الآباء وآرائهم لحد يبلغ القداسة، بحيث يفضي إتباعهم وتقليدهم إلى الجمود، مع رفض ومهاجمة كل محاولات التجديد ودعوات مراجعة تراث الآباء ونقده؛ فإذا كان بر الوالدين هو البند الثاني في الصراط المستقيم {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً }(القران الكريم، سورة الأنعام، الآية 151). فإن هذا البر هو لقاء العناية والتربية التي قدمها الوالدان لنمو الطفل، وبالمقابل يكتسب الوالدان ممارسة تستعمل مفهوم الرضا في حالة الحب والمودة المتبادلة مع الأبناء، أو الإرشاد في حال تمرد الأبناء، دون اعتقاد الوالدين امتلاك شهادة ملكية جسد الطفل، باعتباره تملكا للكينونة يتمتع بصفة نعمة الإيجاد. والحال، أن الوالدية قطيعة عقلية مع الأبائية، وتجديد في تربية على التربية، تتطور بتطور عقل الوالدين، وفق تطورات شروط الحضارة الإنسانية، وكل أمة ترتقي ب "اقرأ، كاستراتيجية لمهارات حياتية تتبادل بين الأجيال دون صراعها.

تعليم الفلسفة للأطفال والشباب

إن إحساس البصر والدهشة متلازمان منذ البداية عند الطفل؛ فالدهشة تولد الإبداع. ومعناه، أن التفلسف هو عملية ملازمة لعقل الطفل (وهبة، مرجع سابق، ص 121). فالفلسفة بوصفها نشاطا تهدف إلى تنمية مهارات التفلسف لدى الأطفال؛ أي القدرة على تناول ظروف حياتهم ومشكلاتهم الخلقية والاجتماعية والسياسية والدينية تناولا فلسفيا. يتيح لهم اتخاذ موقف واضح، يمارسون في ضوئها حل مشكلاتهم. والمشكلة هنا، تتمثل في قصور الوالدين عن العناية بعقل الطفل وفكره، وخاصة أن الأفكار عند الأطفال نور فطري يقود تمكينه المجتمعي إلى إعداد جيل القادة ومجددي العقل. لذلك، فالوالدية كمنهجية أسرية وتربوية تتأسس ببيداغوجيا مأسسة الفلسفة في التعليم ما قبل المدرسي، باعتبارها دعامة مجتمعية لتحرير الذهن عند الأطفال وخلق مجتمع القادة.

ثانيا: المعادلة المعرفية لشيفرات الوالدية المبدعة

في المستقبل يجب تطوير وعي قادر على فهم التأثيرات الروحية مع القدرة على الأخذ بكل التطورات العلمية، فالبشرية ستكون في مرحلة انتقالية إلى حالة من الوعي المختلف. والمسؤولية الشخصية لكل فرد تكمن في البحث عن التوازنات الداخلية و الخارجية و تقوية الترابط التعاطف و الإبداع.

1. رياضيات اجتماعية: نحو قوانين للنمو في تربية الاطفال والشباب

نتعامل جميعاً بالأرقام، وهي موجودة من حولنا على اختلاف الزمان والمكان، وفي مجتمعات الثورة الرابعة والخامسة سيصعب أن نجد جانباً أو مجالاً واحداً في الحياة لا يخضع

للتمثيل الرمزي أو للتحليل الإحصائي من خلال استخدام الرموز الرقمية. لكن، ماذا عن الطفل والعدد، وفق ما تتطلب حاجات مراحل نموه القادمة؟

يرجع الفضل لجون بياجي في إيضاح هذه العملية النمائية، حيث يشير إلى أن مفهوم العدد عند الطفل هو نتيجة تركيب بين مجالين من مجالات التفكير، واستخدام العدد كمجموعة متواكبة مع استخدامه كعلاقة. وأن الطفل لا يكون مفهوم العدد بدقة إلا إذا استطاع أن ينجز كل من التصنيف والتسلسل معاً، وأن العدد لا هو معروف للطفل بشكل أولي فطري، ولا هو ناتج عن الخبرة فقط، بل إنه يتشكل كمفهوم، خلال بنية نشيطة لدى الطفل تنتج من تفاعل الطفل ذاته مع الأشياء تحت شروط تنظيمها تصنيفاً وترتيباً حتى يتكون مفهوم العدد.

ولا ينكر بياجيه أنه من المفيد تذكر حقائق الجمع والطرح لأغراض العد والحساب، لكنه يؤكد أن هذا التذكر الأصم ليس كافياً لتكوين مفهوم ناضج للعدد، بل لا بد وأن يكون هذا التذكر مصحوبا ببعض الأفكار الأساسية مثل المقابلة ومثل الاحتفاظ. ففترة من النمو مطلوبة قبل أن يحقق الطفل مستوى العمليات العقلية الضرورية للفهم الدقيق للاحتفاظ وبالتالي لتكوين مفهوم العدد (J. Piaget, 1934, p 17-23).

وفي سياق قريب، ترى سلين الفيرز أن القوانين الطبيعية للتعلم والنمو عند الأطفال مدخل أساسي في تربية والدية مندمجة مع مستقبل المجتمع؛ وتحددها في الإرشاد الوالدي، وأهمية الدافع الداخلي في ذات الطفل كثروة عالمية الحقيقية. وفي ذات الآن، إعادة اتصاله بالطبيعة والذاكرة المنطقية، وهو ما تعتقد سلين جوهر شيفته يكمن في الحب والعطف الوالدي اتجاه الطفل، فرياضيات الطفل المستجيبة لطبيعة نظامه المنطقي لا تحصل خارج دعم النبضات العفوية،

فالكميات الملموسة التي سيتمكن الأطفال من القيام بها توضيح إحساسهم الفطري بالكميات وبناء أسس رياضية صلبة .(Céline Alvarez, 2016, p 53– 70)

إذن، نستشف، أن هذه الثورة التكنولوجية تفرض تحدياً هاماً على مؤسسات التعليم وهو إعداد أفراد يتصفون بقدرات عالية من حيث القدرة على استعمال الرياضيات المتقدمة، والقدرة على التعامل مع الحاسب الآلي واتخاذ القرار وحل المشكلات.

2. فيزيائية الأنا عند الاطفال: تفاعلات في كمومية الوعي البشري

يقدم دمج علم الاعصاب والبيولوجيا والفيزياء على وجود نوع من الوعي المترابط، وتنطلق مسوغات الفرضية من أن العالم البشري بصدد تطور نحو وعي كمومي يتصف بخاصيات كمومية كالتناسق و الحقل اللامحلي للمعلومة. وسيغير هذا البراديغم علاقتنا بالآخر، بمحيطنا وسيوسع حقيقة عالمنا. وسيشمل هذا التطور من الاشكال البيولوجية والسوسيوثقافية إلى التطور العصبي الوراثي (Daniel, 2021, p5) فمند 100000 عام، لم يتغير تكوين خلايا الجسم البشري لكن العقل البشري تطور بشكل ملحوظ و بالتالي فقد مررنا من تطور بيولوجي إلى آخر ثقافي ثم عصبي علمي (neuroscientifique évolution) وبالتالي التطور القادم سيكون تطويرا لنظامنا العصبي و لوعينا. وما ذلك، إلا لكون من المفروض ان تتدخل قوة طاقة واعية لتنشيط الدورة القادمة من التطور. و يمكننا بذلك البرهنة على أننا على حافة تطور كمومي ممكن للبشرية. فكيف يستجيب نمو الطفل لهذه التطورات في مجتمع المعرفة القادم؟ وهل التربية الوالدية القائمة على وعي كاف بشروط إنتاج المعرفة كما تحتاجها الطفولة؟

إن حضارتنا على ملتقى مهم بين الموارد الفيزيائية وأساليب التفكير، وتكمن أسباب عمى أساليب تربيتنا التقليدية في الطريقة التي نستخدم بها إمكانياتنا العقلية، وعدم المعرفة بالمقومات

التطورية لفيزيائية أدمغتنا وتطوراته القادمة؛ إذ، يعمل الدماغ البشري كمستقبل لترددات بمستويات مختلفة وكل دماغ مروض منذ الصغر على استقبال شكل معين من الترددات. وحين تتفق هذه المستقبلات على شكل معين من الترددات يعود بمقدورها التعرف على أشكال ترددات متشابهة مما يسمح بتطوير صورة معينة للواقع. فإذا لم تتطور طريقة فهمنا وتعاطينا مع هذه الترددات، سوف نحبس أنفسنا في واقع معين، لهذا علينا تغيير البراديغم العلمي والتربية التي نحتاج باستمرار.

أ- تناسق كمومي وعي كمومي

أتبتث الابحاث الاخيرة في البيوفيزياء والفيزياء الكمومية وجود درجة عالية من التناسق بين جميع الانظمة الحية. فلقد قادت أبحاث "popp" إلى وجود وعي كمومي في كل جسم حي، وذلك راجع للمحفزات البيولوجية وإنتاج البيوفوتون (biophotons). حيث يصبح التطور موقوفا ليس على المنافسة بل التواصل والتعاون. فهناك نوع من الارث العرضاني في شكل قوة حيوية مرتبطة بالدماغ والجهاز العصبي موجود عند كل إنسان كإرث تطوري طبيعي، حيث يصبح ADN البشري قابلا لتغيير تناسقه وفق تنشيط قدراته التي بقيت الى حد الان مجمدة. إذ أتبتث بعض الدراسات قابلية الحمض النووي لان يتأثر بالترددات الخارجي(Ibid, p10) ، وهذا يعني مساءلة اساليب تربية في لاستجابة لكل هذه الاشكال الجديدة. وهذا ما نجده يتحقق في صلاة الجماعة كلحظة لتطوير أدوات الحالات الداخلية او الكمومية؛ فالتأمل الجماعي يخلق نوعا من تزامن النشاط في الموجات الدماغية عند الخاشعين/ت، فيصبح إحساس بنوع من الترابط مع وعي جماعي او ما يسمى "الحقل الاكاشيكي"Akashic records (.Ibid, p12).

ب- وكلاء التطور القفزة الكمومية القادمة

الوعي الكمومي يمكنه أن يكون المرحلة القادمة من تاريخ البشرية أي تطور العقل الكوكبي للبشرية بالمرور إلى المرحلة الموالية ذو طابع اهتزازي vibratoire فإذا كان هذا الاهتزاز يمكنه تنشيط الوعي الكمومي، فبإمكانه الرفع من الطاقات الحدسية والظواهر فوق حسية مما سيشكل جزءا مهما من حياتنا وسيفتح الأبواب للإبداع و القدرات الحدسية لإنسان المستقبل.

يمكن القول إن التطور الذي حققه الإنسان هو راجع لقوى التطور فيه وكل هذه المجهودات تساهم في تغدية الأنا الذهني حتى يتجذر و ينمو ببطء وبوعي جديد. غير أن القوى الاجتماعية و الثقافية المادية تحتاج وقتا حتى تستجيب للحاجة إلى براديغم الوعي التطوري؛ ولا يتعلق الأمر، إلا بالوقت حتى تمر الأجيال الجديدة إلى الوعي التطوري، وفي المستقبل يجب تطوير وعي قادر على فهم التأثيرات الروحية مع القدرة على الأخذ بكل التطورات العلمية.

لهذا، تكون التربية الوالدية المبدعة هندسة تكاملية لمشروع مجتمعي قادر على احتواء أزمات المستقبل؛ وإعداد جيل من القادة القادرين على العيش المشترك مع الحضارات والأمم القادمة في الثورات الصناعية التي تعود بها التطورات التقانية التي تحكم العالم الأول. وبالتالي تصير التربية الوالدية علما و فنا ومنهجية أسرية وتربية روحية تعد بمناعة نفسية وفكرية ومعرفية للمجتمعات القادمة.

خامسا: من أجل تربية على القيم المغربية لدى الطفولة والشباب

في التناسل المبنى في الوقائع السلوكية والأفعال للذات المغربية في الفعل والواقع، هي ذات منشأ تاريخي، تحرك من داخل العقلية الثقافية، بما هي تغذي وعيه وفكره ورمزيته، فتجعله أمام خلاصات عناصره الثقافية. باعتبارها، نداء هويته وتفسير طريقة العمل للقواعد المشتركة للعيش الأمن والخروج عن قوالب المجتمع. لكن، كيف تعمل بنية من الخروج من الهامشية إلى الفاعلية الناطقة، وتكسير بداهات القواعد المتحكمة في الإنتاج؟

إن هذه البنية الأصلية تعكس تصورا خصوصيا للكائن الإنساني، تستند إلى جملة من الاختلافات، سواء أكانت عرقية، جنسية، أو دينية، أو سياسية. فعبر منطق الغيرية يرسم الإنسان صورة الآخر المختلف عنه، وهذه الصورة التي تتحكم في طرق التعامل معه، فتسعى البنية الأصلية إلى إخضاع العالم لمبدأ موحد يحقق الانسجام وإعطاء معنى للوجود.

إن للأصول رمزية كبرى، فهي تلاق الجسور في الزمن وفق ثنائية الثابت والمتغير، مما يجعله ديمومة لآلية تفسيرية ووسيلة للمحافظة من لدن المجموعة البشرية على خصوصيتها الذاتية، لذلك لا يمكن اشتغال نظامها، إلا من خلال نماذج أصلية للمجموعات، هي بمثابة شيمات، تتحدد فيها الغيرية كآليه من آليات اشتغالها داخل نسق المتخيل، وهي آليه لا تنفصل عن عمل آلية مجاورة، للصراع أو تكامل الأضداد.

تؤكد هذه البنية آليات اشتغال الفكر الإنساني القائم على الثنائيات والتي لها بعد كوني، فهي بمثابة قوانين بنيوية يشترك فيها مسار التاريخ، كآليات يمكن من خلالها النفاذ إلى أعماق المتخيل. ونميز هنا بين نمطين من أنماط المتخيل: متخيل مدرك يعاش باعتباره متخيلا، ومتخيلا أساسي وهو مدرك، باعتباره حقيقة أكثر واقعية من الواقع المتعين، لذلك يكون المتخيل أعدل توزعا بين البشر.

إن تغذية مفعول التمكين للتدخلات الاجتماعية، في النموذج المغربي، هو مجال لآثار الانحصار الحاصل في بعض التغيرات الفردية والجماعية، دون مواكبتها بتغيرات بنيوية، يمكن أن تسمح بنوع من المعرفة، في حال تحققها، من لدن الارادة الفاعلة للسياسي والمدني وفق منهج تكاملي، يستجيب لمتطلبات العمل في خلق بيئة تمكينية للجميع.

وفي التنمية المصلوبة بعوائق التقليد، يجب الانتباه العلمي لكلمة "تقليد"، نظرا لأن التقليد، قد يجمع عناصر التأليف والتوليف والتقدم التي يحتاجها مجتمع لصالح تنميته. والشرط هنا، أن تستمد التنمية شروط حصولها من جميع مكوناتها البشرية والطبيعية، لكون الطبيعة هي مجال حيوي لاتساع مدارك الإنسان وقدرته على الإبداع. وكل تنمية تستحضر شروط وجودها الاجتماعي من داخل رهانات الهوية الفاعلة، والمبدعة للتاريخ البشري ولفاعلية عناصره، تتأتى لها تحقيق التنمية من أضيق معانيها كتنمية محلية إلى مجالها الاوسع الحضارة والعمران.

والإبداع الذي حصل تغليفه، في شروط بناء الأنا المفكرة للذات المغربية، يغيب بفعل ديناميات، أحدثت في مسار تطوره تشوهات، لم تسمح له أن ينمو نمو طبيعي ضمن مجالات قوته المحلية أمام صورة السمعة السيئة للتاريخ السيبة مما أوقف الذهن أمام ضعفه وكمال غالبه، ولا تنفصل الذوات عن هذه القشور الملتوية بذهن البدائية السلوكية إلا بتحرير العقل بمكونين، مكون السلطان ومكون الدين، فمجال الأول التقليد الصغير ومجال الثاني التقليد الكبير داخل المشروعية الكبرى لمصادر إنتاج بنية فوقية تتحكم في التمثل والمنطق والمركب، وأنتجت المعنى والفعل رغم تواريها في بنيات اللاوعي لكنها حاضرة في عمق الممارسة في أعطاب السلوك وخصائص الذات ومسالك العقليات، عندما تتجمع إنسانيا وتفكر فإنها تنتج. وفي ذلك التماسك الذي يستعمله الأيديولوجي، استعمالا مقلوبا لصورة الواقع، يحقق شروط استمرارية في بنية الذهن (بول ريكور، 2002، ص 17).

ولكن دون أن تسمح أدوات اشتغاله على تحرير الذهن وعبوره إلى أعماق البنى الفكرية الأصلية التي تنتج حيوية الفكر في الأفكار الفطرية عند الإنسان، فتتحقق بذلك شروط انتمائه

الفاعل لترابه، ولا تجعله مجالا لذهن تراب تحكمه هواجس الامتلاك (محمد كريم، 2011، ص 54).

ثمة مفارقة بخصوص الفرد، يكشف عنها كاستورياديس، وتتمثل في كونه يطمئن إلى الجماعة التي ينتمي إليها ويفضل التقوقع في الحشد ويحركه في ذلك مبدأ الهوية من جهة، ولكنه من جهة ثانية، قادر على تحقيق الاستقلالية والتمرد عن طريق المتخيل الراديكالي، وذلك بالتصعيد والمساءلة والسير في اتجاه إعادة بناء الهوية بشكل انفتاحي يستفيد من لقائه بالآخر(محمد كريم، 2011، ص 143).

يبدأ التغيير حسب كاستورياديس من خلال إبداع تخيلي جديد ينتج بمقتضاه مجتمع ما دلالات ومقاصد ومشاريع مغايرة للأنماط والرؤى القديمة تعيد تنظيم العمل والسياسة والاقتصاد بشكل يسمح بتفجير الطاقات الإبداعية للأفراد وهو ما يساعد على ميلاد ديمقراطية تشاركية تعمل على تثقيف الرأي العام وتمزج بين التربية كسياسة للأفراد والسياسة كتربية للجماعات (كاستور ياديس، 2003، ص145).

فالنسق الذهني كقوة محرومة من الفعل، وكعنصر من أسس التمكين، يحيل على نفي للكائن في أي تحديد ونبذ للوحدة المانعة لأي اختلاف؛ ونفي الوجود أو الكائن، معناه تعبئته بشخصيات متعددة ومتحولة، يشكل مجموعها الشخص. والشخص، هو البعد الثاني المفتقد في ماهية الاجتماع البشري المغربي، فالشخص؛ هو بحث عن شخصية تتقمص الذات في مشروعها الشخصي؛ أي أنه يتحقق، كلما ابتعد عن الكينونة الساكنة، للارتماء دوامة التطور والتعدد.

وبذلك يظهر، أنها تمثل الهدف النهائي الذي يجب أن تبلغه الحياة. ليست عملية توفيق بين الكائن والشخص، لأن القيمة ليست وجواد متعاليا قد يكون مشروطا بالعدم الذي تحتويه داخلها.

فالأنا محاطة بمشروع ذاتي، يجد عناصر انسجام في التعدد مع الوجود الحي، للطبيعة الناطقة في المشاريع الذاتية الأخرى، لكن في غياب التحقق الفاعل، وعند الانفصال عن الهوية التي تبعث من الرموز الأولية للمشروع، على الواقع القبول بتشوهات غير أمنة.

تنتهي خلاصات الاستدلال العلمي للذهن كموضوع للعلم، إلى استنبات فهم معرفي، يدعي أن الأنا المغربي هو نسق ذهني مبدع غير متخلف، والذات المغربية هي شخص حامل لمشروع التحرر من الكائن إلى الذات الفاعلة، التي تتماسك بقوة الوعي والفكر كعمليات إنتاجية للمتخيل الاجتماعي بالمغرب. وبالتالي، فهناك عوائق تحول دون تحقق هذا المشروع الشخصي، في الواقع المتعين.

فالمشروع المجتمعي هو مبنين على ديالكتيك التغير. لكن، نقل القيم يفرض الحفاظ على أدوار مؤسسات التنشئة الاجتماعية. وذلك، لضمان الاستمرار في خلق وتطوير المهارات انطلاقا من روح المجتمع نفسه. فمع كل "اجماعة" تتغير الظروف وتختلف الرهانات لكن تبقى العلاقات قارة حتى يتم نقل المعرفة من جيل لآخر.

إن الغيرية تخلق في الذات المغربية، والغيرية l'altérité. هي حاجة إنسانية موجودة في النفس البشرية، ودفعت الشعوب منذ أزمان غابرة إلى البحث عن الآخر. إذ هو، بحث متأصل في كل مجموعة بشرية، بحيث لا يصلح معه لا اقتباس من منظومة خارجية ولا إسقاط من سلطة أفقية. فالغيرية، كأساس من أسس الهوية، تفترض تفكيرا نقديا للذات بحيث تتحدد ماهية الشخص في علاقة مغايرة للتعدد. ولا يمكن أن تدل الهوية على الشخص وإلا سنفترض، أننا أمام تماثيل موضوعة على قمم عالية، يفرق بينها واد عميق، يكون كل مثال لا يستطيع الحركة ولا

يمكنه ما يقع للتمثال الآخر، فلا يجد إلا نفسه لتفسير واقعه، فالغيرية لا تفترض الانقسام والاغتراب، بل التعاون أو التناوب في المسؤولية.

إن التضامنية الاجتماعية كوحدة جيو–رمزية، تصدر عن العالم المدرك، فالمعطى ليس الشيء وحده، بل تجربة الشيء، وهو تعال معين في خط من الذاتية، هو نوع من الطبيعة التي تلوح من خلال تاريخ معين، إذا أردنا مع الواقعية، أن نجعل من الإدراك مصادفة مع الشيء، فإننا لا نستطيع أن نتمثل الشيء، فمثالية التركيب تشويه للعلاقات المعاشة مع الأشياء (محمد سلام شكري، 2018، ص 79– 80).

إذا أجرت الذات المدركة، تركيب المدرك عليها أن تسيطر، وتدرك عبارة الإدراك. لذلك، فكل أنا تعيش في التراب، كشيء له من الخصائص الذاتية كالشكل والحجم هي ماهية فكرية للأشياء. فالعالم له وحدته، دون أن يتوصل العقل إلى ربطها أو إدخالها في مفهوم بناء هندسي؛ هذه الوحدة يمكن مقارنتها بوحدة فرد أتعرف عليه في بداهة لصيغة طبعه. لأنه، يحتفظ بالأسلوب نفسه في كل أقواله وفي كل سلوكه، حتى لو غير وسطه أو أفكاره. وبما أن الزمن الطبيعي يبقى في مركز تاريخي، فإنني أيضا أرى نفسي محاطا به. فهذه الحياة السرية ليست سوى الحد للتوزع الزمني.

ولهذا يكون المشروع المجتمعي المغربي، فاقدا للنضج والتدبير الأساسيين في تنميته عندما تستبعد مكونات الطفولة والشباب في رسم السياسة العمومية الحقيقة للنهوض الحضاري بتنمية الاجتماع البشري المغربي، وتشرط معرفيا بالإبداعية الثقافية للعقل المغربي في التاريخ الاجتماعي والثقافي، المولد لصيرورة العيش المشترك في التاريخ الاجتماعي والثقافي الراهن.

خاتمة:

على خلفية استفهام مشروع، كيف تعمل بنية من الخروج من الهامشية إلى الفاعلية الناطقة، وتكسير بداهات القواعد المتحكمة في الإنتاج؟ يمكن استنباط استنتاج منطقي، لمشروع فكري عنوانه: "مشروع القيم المغربية"، في تمكين الطفولة والشباب المغربي. وهو يمنح الباحث استهلال معرفي في مواصلة مشروع بحثي لتجسير هذه الهوة بين العلوم المعرفية وعلم الاجتماع، والتي من شأنها أن تمنح هذه الحدود المعرفية موصلات مشحونة بالهوية المغربية في تعميم النماذج الترابطية للمعرفية الاجتماعية في تفسير الإشكالات المرتبطة بقضايا الطفولة والشباب في العالم العربي. لذلك كانت نتائج هذا الحوار المعرفي وفق الهندسة التالية:

نتائج الدراسة:

–الاستثمار في مشروع القيم المغربية المرتكز على الميولات والاستثمار في الاستعدادات والمواهب والهوايات الشخصية، وتوظيفها في التحفيز على امتلاك المعرفة. والإقبال المستمر على التعلم بكل صنوفه، تسهم ولا شك في كافة المجالات الحياتية، بالاستيعاب المتجدد لرسالة الإنسان في الحياة، باعتبارها رسالة وجود وإبداع وإنتاج وقيادة، هو بمثابة فرصة خلاقة للاشتغال على النماذج الذهنية المغربية؛

–الاشتغال على العلبة السوداء من الذهن المغربي يقدم فرصة واعدة للمشروع المعرفي بين علم الاجتماع والعلوم المعرفية في تنمية المهارات الحياتية لدى الطفولة والشباب المغربي، وقدرة هذا الترابط على منح تعميم في الاطر المنهجية والنظرية المتجددة من هذا التأويل المركب؛

-عبر التربية التي توظف المعارف والعلوم والتقنيات، من أجل التربية على التمكين الإنساني، بغاية تحرير ملكات الفرد واستقلالية شخصيته وقدرته على المشاركة وعلى امتلاك التعارف والتضامن والمبادرة والروح الجماعية، وقبول الاختلاف والإنصات وحل النزاعات بالحوار والقدرة على الفعل الإيجابي المتحضر (أبو إياد، 2012).

References:

The Holy Quran

Alvarez. C, (2016): Les Lois naturelles de l'enfant, Éditions des Arènes, Paris, France.

Baumrind. D (1955): Some personality and situational determinants of behavior in a discussion group, Doctoral Dissertations Accepted by American Universities, New York City, USA.

Cornelius. C, Imaginary institution of society translated: Maher al-Sharif, first edition, Dar al-Mada 'a, Damascus, Syria.

Gidaan. F, (1988): Foundations of Progress for the Intellectuals of Islam in the Modern Arab World, Edition, Dar al-Shorouk, Alexandria Library, Egypt.

Haddy. M, (2021): Du non- développement des territoires au projet sociétal intégré. Manuels et travaux Universitaires, REMLED, Paris, France.

Jasus. M, (2014): Tribal Civilization of Morocco Model of the Sus Tribe, Journal of Civic Dialogue, No. 4359, February 8, at: https://www.ahewar.org/debat.

Karim. M, (2011) : Morocco's Social Economy, Disabled Development and the Polemics of Economy and Society, East Africa Presses, Casablanca, Morocco

Khamass. M, (2019): sociocultural knowledge: its production mechanisms. Popular Culture Magazine, 12th Year, Issue 45 Spring 2019, Manama, Bahrain.

Kuhn. T, (1970): La structure des révolutions scientifiques, traduit par Laure Meyer,: Flammarion, Paris, France.

Ouahba. M, (1994): Future Ethics, First Edition New Culture House, Damascus, Syria

Ouahba. M, (2017): Philosophy of Creativity, First Edition, Supreme Council for Culture, Kuwait

Parrochia. D, (2021): Modélisation quantiques de la conscience et métathéorie mathématique, Université de Lyon, France.

Piaget. J (1934): Une éducation pour la paix est-elle possible?, Bulletin de l'enseignement de la Société des nations n: 1, Genève, suisse.

Ricœur. P, (2002) lectures in ideology and utopia, translation by Falah Rahim, first edition, United New Book House, Beirut, Lebanon.

Shukri M, S, (2018): civil society in Morocco, from founding to mature, windows magazine, No. 65, June, Morocco.

Younes. M, (2009): A world without poverty, social projects and the future of capitalism, translation: Rim Abdel Halim, first edition, Al-Sharouk International Library, Beirut, Lebanon.